عاجلا او آجلا ان يقف في وجه النظام القائم .
ان الثورة المضادة في الشرق الاوسط ، سواء في شكلها الصهيوني او الاستعماري او الانظمة الرجعية ؛ تجد نفسها مقيدة في تحركها بمدى محدود من التكتيكات التي تقع تحت بابين رئيسيين : باب القوة وباب الخداع . وهذا مدى تفرضه فكرة الجزرة والعصاة . واحدى الافكار الرئيسية التي تستحوذ على الموقف المضاد للثورة ، والتي تؤثر كثيرا على سياسات اسرائيل والولايات المتحـدة والانظمة الرجعية العربيـة ، هي فكرة الاستقرار : اذا أمكن المحافظة على الاستقرار يمكن المحافظة على الوضع القائم الى ما لا نهاية . ويبقى الارباك والعنف هما الوسيلتان الرئيسيتان لتحقيق هذا الهدف .
ان لسياسة الاحتواء نظرة ضيقة . فقد تكون هذه السياسة ناجحة في المدى القصير . لكنها تستعمل اساليب واستراتيجيات تزيد ، في المدى الطويل ، من خطورة المشاكل التي وضعت اساسا لحلها . ان النقطة الاساسية التي دائما ما تنساها هذه الطريقة هي ان القوى الاجتماعية ، داخل أية عملية تاريخية ، قد تصل الى درجة من النضوج لا تؤدي محاولات احتوائها سوى الى اشكال جديدة من الانتفاضات.وهذا أحد الاسباب الرئيسية التي تجعل العالم الثالث فريسة للازمات المستمرة بدلا من ان ينعم « بالاستقرار » الذي تريده لها القوى الرجعية والاستعمار .
تجري المواجهة بين حركة التحرر العالمي والاستعمار في جو من التأزم المتزايد.فالازمات هي محرك التاريخ . الازمات تتجسد في الحوادث والحـركات والاوضاع التي تحدث التطورات من يوم الى آخر . وفي أوقات الازمات تتلاحق التحولات بسرعة وتقود الى تطورات جديدة وغير مرئية . وقد لاحظ لينين ان الازمات تحطم البنى التقليدية ، وتدمر الواجهات الزائفة وتجعل قيام اشكال جديدة امرا ممكنا . اما على مستوى الوعي فان الازمات تعمق الوعي وتسرع في عملية التحول الجذري . وكما كتب دوبريه : « في اوقات الازمة ، يطير الوقت السياسي بسرعة . ونحن نفهم في اسبوع واحد من الثورة أكثر مما نفهم في عشر سنوات من الروتين اليومي »(١٢).
ما هي التطورات التي علينا توقعها خلال العقد القادم في عالم متأزم سيتابع الاستعمار تأزيمه ؟ أين ستكون نقاط الاحتكاك الرئيسية بين الاستعمار العالمي والتحرر العالمي ؟ ما هو الدور المحتمل ان تلعبه الثورة الفلسطينية في هـذه المواجهة ؟ ليس المقصود بالمقترحات التي سنعرضها الان اعطاء اجوبة على تلك الاسئلة . انما المقصود بها توفير اطار يمكن من خلاله تحليل تلك الاسئلة .
١ ــ تجري المواجهة حاليا بين الاستعمـار العالمي والتحرر العـالمي في خمس مناطق مختلفة من العالم ، وتأخذ هذه المواجهة اشكالا مختلفة . فالمواجهة في احد الاشكال هي داخل البلدان الاستعمارية نفسها ، وفي شكل آخر في اميركا اللاتينية وافريقيا ، وفي شكل آخر مختلف في الهند الصينية والشرق الاوسط .
٢ ــ رغم ان النظام الاستعماري العالمي في مرحلة حرجة ويتهدده الخطر مـن الداخل والخارج ، فما زالت له القوة الكافية داخل منطقته وفي اميركا اللاتينيـة وافريقيا لمنع انهياره في وقت مبكر . ومن ناحية موضوعية ، تعتمد السرعة التي يجري فيها انهيار الاستعمار على عاملين : نمو حركات المقاومة في هـذه المناطق والاتجاه الذي تتخذه المجابهة العالمية في المناطق الامامية : في الهند الصينية والشرق الاوسط .
٣ ــ تشكل المجابهة في الهند الصينية والشرق الاوسط مجابهة واحدة. فالنزاع في الشرق الاوسط هو امتداد واستمرار للنزاع في الهند الصينية . في كلا المنطقتين تتجابه القوى نفسها حول نفس المشاكل. والعامل المشترك بين النزاعين هو الطابع الدولي لعواقبهما: كلاهما يشكل نقاط تركيز قد تنتشر منها الثورة الى مناطق كبيرة . تشكل جنوب فيتنام وفلسطين اليوم قلب اعصار عالمي . يرتبط الفيتكونغ ، كنواة ثورية ، ببيئة او منطقة جنوب شرق آسيا بنفس الطريقة التي يرتبط فيها الفدائيون الفلسطينيون ببيئة او منطقة